شرح كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) لأبي عثمان الصابوني-رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٩)

نتعلم في هذا الدرس:

١. فضل الصحابة وخلافتهم
٢. خلافة أبي بكر رضي الله عنه.
٣. خلافة عمر رضي الله عنه.
٤. خلافة عثمان رضي الله عنه.
٥. خلافة علي رضي الله عنه.
٦. حب الصحابة.

١. [فضل الصحابة وخلافتهم]

قال أبو عثمان رحمه الله:

ويشهدون ويعتقدون: أن أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافتهم بقوله فيما رواه سعيد بن جمهان عن سفينة: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة).

وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

هذه القطعة من كلام أبي عثمان الصابوني رحمه الله تتضمن مسألة المفاضلة بين الصحابة رضوان الله عليهم، وأن أفضل الصحابة هو: أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، ووصفهم أنهم الخلفاء الراشدين، الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)).

والخلفاء الراشدين هم: من خلف النبي صلى الله عليه وسلم في أمته بالعلم النافع والعمل الصالح، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون؛ لأنه بهذا بعث {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}، ولا ريب أن هؤلاء الأربعة يدخلون دخولًا أوليًا في هذا الوصف.

فأفضل الناس بعد – محمد صلى الله عليه وسلم – من هذه الأمة صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وخليله، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، لا خلاف بين أهل السنة والجماعة في أن ترتيبهم في الخلافة على هذا النحو: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وإنما وقع الخلاف بين أهل السنة في ترتيبهم في الفضل، مع اتفاقهم على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ولكن اختلفوا فيما بعد ذلك، فقوم ثلثوا بعثمان وربعوا بعلي، وقوم عكسوا ثلثوا بعلي وربعوا بعثمان، وقوم توقفوا، هكذا هم في مسألة الفضل، أما في مسألة الخلافة فلا خلاف بين أهل السنة في أن ترتيبهم في الخلافة هو ما وقع فعلا في التاريخ، وأن من نازع في ترتيبهم في الخلافة فهو أضل من حمار أهله كما قال السلف.

واستدل الشيخ على فضلهم بحديث سعيد بن جمهان عن سفينة، وسفينة هو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**))، ووجه الدلالة: أن هذه الثلاثين تشمل هؤلاء الأربعة فقط، فمدة خلاف أبوبكر ثنتان، وعمر عشر سنين، وعثمان ثنتي عشر سنة، وعلي ست سنين فالمجموع ثلاثون، وإن كان علي رضي الله عنه على وجه التحديد والدقة كانت خلافته: خمس سنين وستة أشهر، ثم إن الحسن بن علي رضي الله عنهما ولي الخلافة ستة أشهر، ولكنه من العلماء من يحتسبه من الخلفاء الراشدين، ومنهم من يقول إنه لا يحتسب؛ لأنه تنازل عن الخلافة، أو يقال إن خلافته تابعة لخلافة أبيه، وإنه لسيادته وفضله على أمة محمد صلى

هذه المادة لم تراجع على الشيخ . حفظه الله .

الله عليه وسلم تنازل عن الخلافة لمعاوية فحصلت الجماعة ولله الحمد، ولذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم: ((إن ابني هذا سيد)) وأخبر أن الله تعالى: ((يجمع به الناس على حين فرقة)) فهذا ما وقع.

أما حديث سعيد بن جمهان فمتكلم فيه؛ لأن سعيد هذا وثقه قوم، وضعفه آخرون، وقد روى هذا الحديث الترمذي وأبو داوود والإمام أحمد وأبو داوود الطيالسي.

وبعد هذا قال الشيخ: (**وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض**) في إشارة إلى خلافة بني أمية، حيث صار الأمر بعد ذلك على سبيل الوراثة بينهم.

(**على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**) يشير بهذا إلى ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، وفيه أن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تكون النبوة ما شاء الله فيكم أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملك عاض فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها))، والحديث عند الإمام أحمد وأبو داوود الطيالسي بهذا اللفظ.

(بعد ذلك قال أبو عثمان: **ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، وقولهم قاطبة: رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فرضيناه لدنيانا، يعني: أنه استخلفه في إقامة الصلوات المفروضات بالناس أيام مرضه وهي الدين، فرضيناه خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم علينا في أمور دنيانا**) هذا أحد الأوجه في بيان أحقية أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه في الصلاة بالناس، ولما قالت له عائشة: إن أبا بكر رجل ضعيف – يعني أن يغلبه البكاء، إذا قرأ وأم الناس – قال: ((يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا بكر))، وأنكر على عائشة وقال: ((إنكم لصواحب يوسف)).

فهذا أحد الأوجه: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رضيه لمؤمنين في أمر دينهم، وهي الصلاة فكان حريا أن يرضوه في أمر دنياهم وتصريف أمورهم.

ولا شك أن الصحابة اختاروا أبا بكر فإنهم لما اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وبحثوا في الأمر، وقع اتفاقهم على بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فبايعه المهاجرون والأنصار، وانفضوا على هذا ولله الحمد، واتفقوا عليه.

(ثم قال أبو عثمان: **وقولهم: قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي يؤخرك، وأرادوا أنه صلى الله عليه وسلم قدمك في الصلاة بنا أيام مرضه، فصلينا وراءك بأمره فمن ذا الذي يؤخرك بعد تقديمه إياك)** وهذا مزيد بيان لما مضى.

(وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في شأن أبي بكر في حال حياته بما يبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده) ولهذا شواهد: فقد كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يثني على أبي بكر فيقول: ((إن من أمنّ الناس علي في نفسه وماله أبو بكر))، فكان أبو بكر يقول: بل الله ورسوله أمنّ.

ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقال: ((أأتيني في قابل)) يعني في العام القادم، فقالت أرأيت أن لم أجدك؟ قال: ((أتي أبا بكر)).

ومما جاء أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم: ((أن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا)).

فكل هذه الشواهد وغيرها كثير، تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلمح تلميحًا قويًا إلى أحقية أبي بكر في الخلافة.

(قال أبو عثمان: فلذلك اتفقوا عليه واجتمعوا، فانتفعوا بمكانه- والله- وارتفعوا به وارتفقوا)، وفي بعض النسخ: **(وانتفعوا)** - ولعل الأقرب وارتفقوا منعًا للتكرار، من الرفق.

(حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف لما عبد الله، قيل له: مه يا أبا هريرة! قام بحجة صحة قوله، فصدقوه فيه وأقروا به) على أن هذه الحكاية في إسنادها متروك، فلا يعول عليها، ونحن ولله الحمد بغنًا عن ذلك، فإن مقام أبا بكر في الإسلام لا ينكره إلا زنديق مبغض لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى أنقذ الإسلام بأبي بكر عام الردة، لما ارتدت العرب وقف رضي الله عنه تلك الوقفة العظيمة التي تدل على رَباطة جأشه وثباته وقوته في دين الله، حتى رد الله العرب وأفاءو إلى دين الإسلام، فهذه إحدى مناقبه رضي الله عنه ومناقبه أكثر من أن تعد في مثل هذا المقام.

إذًا حصلت خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه باتفاق المسلمين ورضاهم به، وأهليته رضي الله عنه لهذا المقام الذي لا أحد أولى به منه.

(قال أبو عثمان: **ثم خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله سبحانه – بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه – وعده**) كل هذه دلائل على ثبوت خلافة الفاروق رضي الله عنه قال:

أولًا: **باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه إياه** فإن أبا بكر رضي الله عنه عهد بالخلافة إلى عمر وأوصاه وقال له: اتق الله يا عمر. هذه واحدة.

(قال: **واتفاق الصحابة عليه بعده**) أي أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يشذ منهم أحد ويرد بيعة عمر رضي الله عنه بل ارتضوه جميعًا.

والثالثة: دلالة القدر وهو أن الله تعالى أنجز وعده لهذه الأمة في عهد الفاروق رضي الله عنه بالتمكين في الأرض مما يدل على صحة خلافته كما سيذكر الشيخ رحمه الله بعد قليل في ذكر الآية.

(قال: **ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى، وإجماع الأصحاب كافة، ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه**) هذه ثلاث طرائق:

الطريقة الأولى: اختيار الصحابة لأبي بكر.

الطريقة الثانية: عهد أبي بكر لعمر بعينه.

الطريقة الثالثة: أن يجعل الأمر في أناس معينين، من أهل الحل والعقد، وهو ما فعله عمر رضي الله عنه فجعل الشورى في بقية العشرة المبشرين، وأدخل معهم ابنه عبد الله بن عمر شريطة ألا يوكل الأمر إليه، فكان معهم عبد الله بن عمر، واختار بقية العشرة المبشرين بالجنة من بينهم: عثمان بن عفان- رضي الله عنه- واتفق المسلمون على ذلك قاطبة ولله الحمد.

(قال: **ثم خلافة علي رضي الله عنه ببيعة الصحابة إياه، عرفه ورآه كل منهم رضي الله عنهم أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة، ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه**) كان الصحابة الذين في المدينة وهي قصبة الإسلام، كلهم أجمعوا على بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكان هو الخليفة الرابع.

(ثم قال الشيخ رحمه الله: **فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدين الذين نصر الله بهم الدين، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين، وقوى بمكانهم الإسلام، ورفع في أيامهم للحق الأعلام، ونور بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام، وحقق بخلافتهم وعده السابق في قوله عز وجل: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ} وفي قوله {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ}**) إذًا هذه من الدلائل القدرية على صحة خلافة هؤلاء الأربعة: أنهم في عهدهم تحقق التمكين للإسلام، فمعظم الفتوحات الإسلامية تمت في عهد الخلفاء الراشدين، فتح الشام، والعراق، ومصر، وخرسان، إلى الهند، وفتح المغرب إلى أقصاه إلى المحيط الأطلسي، كل ذلك تم في عهد هؤلاء الخلفاء الأربعة، وهي دار الإسلام الأساسية الأصلية ولله الحمد، فوقع التمكين للإسلام في عهدهم، فذلك دليل على صحة استخلافهم لتحقيق وعد الله وانجازه ما وعد في عهد هؤلاء.

إذًا يجب علينا أن نعتقد صحة خلافة هؤلاء الأربعة على ترتيبهم الذي وقع: أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وأن من نازع في هذا الترتيب فهو ضال مبتدع، أضل من حمار أهله، كما قال الأئمة، وأما ترتيبهم في الفضل فلا ريب في إجماع المسلمين أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها: أبوبكر ثم عمر، وبهذا قام علي بن أبي طالب كما في الحديث الصحيح، صحت عنه الرواية بالتواتر، أنه قام خطيب على منبر الكوفة وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، أو أبوبكر وعمر.

وإنما وقع الخلاف بين أهل السنة وهي من المسائل النادرة التي اختلف فيها أهل السنة – في مسألة التفضيل بعد أبي بكر وعمر، فثلث قوم بعثمان وربعوا بعلي، وعكس آخرون ، وتوقف فريق ثالث، إلا أن أمر أهل السنة استقر على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، لكن مع ذلك لا يضلل المخالف في مسألة الفضل، لأن الخلاف فيها متقدم.

(ثم قال أبو عثمان: **فمن أحبهم، وتولاهم، ودعا لهم، ورعى حقهم، وعرف فضلهم فاز في الفائزين**) لأن الله تعالى يقول:{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}، إذًا من تولى هؤلاء وأحبهم ووالاهم فإنه من الفائزين.

(**ومن أبغضهم، وسبهم، ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض والخوارج – لعنهم الله – فقد هلك في الهالكين**)

هاتان الفرقتان نالتا من الخلفاء الأربعة، الروافض والخوارج؛ فإن الروافض والعياذ بالله لغلوهم في علي رضي الله عنه وآل البيت، وقعوا في أبي بكر وعمر وعثمان، وزعموا أنهم اغتصبوا الخلافة من علي، وهذا - والعياذ بالله - من أكذب الكذب والفرى، فإن علي رضي الله عنه كان وزيرًا لهؤلاء الثلاثة الذين سبقوه، بل إن مقالتهم هذه وزعمهم أن علي رضي الله عنه أحق من أبي بكر وعمر وعثمان، هي في الحقيقة طعن في علي نفسه؛ لأنه إن كانت الخلافة حقًّا له، فكيف يرضى بالسكوت على حق ألبسه الله إياه وخلعه عليه، وإن كان قد وسعه أن يقبل بخلافتهم فكيف لا يسع هؤلاء ما وسع صاحب الشأن.

وبهذا يتبين بطلان عقائد الرافضة، وأن أستارهم مهتوكة ولله الحمد.

(فمن أبغضهم، وسبهم، ونسبهم إلى ما تنسبهم الروافض والخوارج - لعنهم الله - فقد هلك في الهالكين)

أما الخوارج فإنهم على النقيض من الروافض في شأن علي رضي الله عنه ذلك أنهم خرجوا عليه وكفروه، وزعموا أنه حكم الرجال في كتاب الله، ودعوه إلى أن يعتنق الإسلام من جديد، فقد خرجوا على حين فرقة من المسلمين، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في ((صحيح البخاري)): ((تمرق مارقة على حين فرقة من أمتي يقتلهم أولى الطائفتين بالحق)) فكان الذي قتلهم علي وأصحابه رضوان الله عليهم في موقعة النهروان.

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله))) أما الجملة الأولى، وهي قوله: ((**لا تسبوا أصحابي**...)) فهي ثابتة ولله الحمد في ((الصحيحين)) يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)) لله درهم.

ثم اعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه هذا الكلام لواحد من الصحابة الذين تأخر إسلامهم لملاحاة جرت بينه وبين أحد السابقين إلى الإسلام؛ فقد جرى بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو لم يسلم إلا في السنة الثالثة، وبين عبد الرحمن بن عوف وهو من السابقين إلى الإسلام مشادة فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقط قال هذا، فلما بلغت هذه المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه))، يعني مثل جبل أحد ذهبًا، والمد ربع الصاع، ونصيفه نصفه.

فإذا كان هذا القول يوجه لأحد الصحابة الذين تأخر إسلامهم، فما بالك بمن ليس بصاحب، فما بالك بمن كان مبتدعًا - والعياذ بالله - فما بالك بمن كانت بدعته مكفرة، كيف يكون حاله؟

أما الجملة الثانية: ((...**فمن سبهم فعليه لعنة الله**)) فإن هذه قد وردت في حديث آخر رواه بن أبي عاصم في ((كتاب السنة)).

(وقال أبو عثمان: ((**من أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن سبهم فعليه لعنة الله**))) وهذا الحديث أيضًا قد رواه الإمام الترمذي والأمام أحمد.

ولا شك أن مقام الصحابة مقام عظيم، وأن الله تعالى قد اختارهم لنبيه عن علم وحكمة، فهم التراع من القبائل جمعهم الله تعالى عن علم وحكمة لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي فضلًا عن عامتهم من قريش ومن التراع من قبائل العرب، جمعهم الله عن علم وحكمة، فلا ريب أن ذلك يدل على عظيم مقامهم.

والصحابي: هو من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمن به ومات على ذلك، هذا حد الصحبة، وتفاصيل ذلك وما يدخل فيه وما يخرج مبسوط في كتب مصطلح الحديث.

إذًا الواجب موالاة الصحابة جميعا ومحبتهم، كما أنه يجب علينا أيضًا أن نعتقد تفاضلهم، وأن الله سبحانه وتعالى فاضل بينهم، فإذا كان أنبياء الله قد فضل الله بعضهم على بعض {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} فمن باب أولى من دونهم، فأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بينهم من أوجه المفاضلة الشيء الكثير من ذلك مثلا: قول الله عز وجل: {لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا} المقصود بالفتح هنا صلح الحديبية.

أيضًا المهاجرين أفضل من الأنصار، لأن الله تعالى يقدمهم بالذكر، كما في قوله: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ}.

أيضًا من أوجه المفاضلة: أهل بدر، البدرية من أوجه المفاضلة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في قصة حاطب بن أبي بلتعة قال: ((وما يدريك يا عمر، لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)).

أيضًا من أوجه المفاضلة: من شهد بيعة الرضوان فإنه نال حظوة ومنزلة، لأن الله سبحانه وتعالى قد رضي عنه ويدخله الجنة ويحرم على النار، يقول الله عز وجل: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)).

من أوجه التفضيل أيضًا: أن يكون بعضهم قد بشر بعينه بالجنة، كما جرى للعشرة المبشرين وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم. إذًا نحن نفضل من فضل الله، ونقدم من قدم الله.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.